جغرافيا أدب الأطفـــال- شعريّة الصّورة

و التناصّ السّردي.

▪▪ "" أليس في بلاد العجائب " " لـ: لويس كارول أنموذجا ▪▪

موسى سنوسي.

جامعة الجزائر2

ملخص :

حقيقة إنّه لأمرٌ محيّر أن لا يسائل المرءُ نفسه عمّا يقرأ ؛ فيقول مثلا: هل نتلقى صورًا في الأدب؟ أم أننا نقرأ أدبا يخلو من الصّور ؟ و هل يمكن أن يوجد أدب لا صور فيه؟ كيف اغتدت الصورة مفهومًا أُسِّيًّا ذا مكانة ينعدم بانعدامها الأدب ذاته؟ و المسألة من كلّ هاته الاستفهامات المتظافرة هي: كيف السبيل لجعل ثنائيّة: الباث / المتلقي أكثر حواريّة؟؟ تلكم هي بعض حدود هذه المساءلة التي تسعى هذه الدراسة للإجابة عنها ؛ وقد تبنّت آلية "**التقريب الشّعري**" مفتاحا تنشد به غايتها.كما تُموضع

المنارة للاستشارات

الدراسة بعض **علاقات التناص** – الجوناتية* – لاستكمال رصدها لتعالقات الداخل النصّي مع الخارج النصّي في النموذج السّردي المذكور آنفًا.

Résumé :

Vraiment c'est bizarre pour quelqu'un qui ne s'interroge pas sur ce qui' il lise. Par exemple il dit : Est-ce que on reçoit des images dans la littérature ? ou est ce que nous lisons une littérature sans images ? Et est ce que on peut trouver une littérature qui ne contient pas des images ? comment que l'image est devenir un concèpte central a une place primordiale dans la littérature. Cette dernière n'existe qu'avec elle. Et la problématique qui nous pousse de poser toutes ses questions successives c'est : Quelle est la manière favorable qui laisse la dualité émetteur / récepteur

* و هي تسمية تنتسب إلى الناقد الفرنسي:" جيرار جينات "؛ الذي أخذ على عاتقه فصل القول في مبحث التناص ولاسيّما في كتابه :" **أطراس** " Palimpsestes 1982.ينظر: عبد الحق بلعابد: عتبات- جيرار جينيت من النّص إلى المناص، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة ، ط1 ، 2008م ، ص: 32.

المنارة للاستشارات

devient plus dialogué ? celle –ci forme certaines frontières pour la problématique qui est notre intérêt d'étudier et de la répondre sur ses questions.

Le mécanisme de l'approche poétique a montré une clé pour son finalité , aussi elle localise certaines relations textuel chez gérard genette pour utiliser son bonus décroisement l'intérieur textuel avec l'extérieur textuel , pour le texte : « **Alisse dans les pays bizarre** » Luisse Carol.

المنارة للاستشارات

- **تصدير: هدف و منهج هذه الدّراسة:**

ما من خطاب أدبي ، أو مقول ملفوظي ، أو حتى رسالة قولية ؛ إلا و هي محكومة بحتمية السيرورة الحثيثة من باثٍّ صوب متلقٍ ؛ و تلك " معادلة سرمديّة " في أعراف التحاور و التعارف التواصلي بشكل عام.إلا أن هذه المعادلة الديناميكيّة لا تنوء بأحمال عبئها ما لم تتكامل الوظيفة التّشاركية بين كلّ أطرافها بمنطق الإنصاف و الاعتدال في **حِمى لغة أدبيّة تضمينيّة إلى أكبر حدّ ممكن**[1].

كيف يكون للأدب وظيفة ؟ ، أو بالأحرى: ما وظيفة الأدب؟ و إن سؤال الوظيفة ههنا سيقودنا حتمًا إلى الوقوع في شرَك الاستفهام الخالد الذي سبقتنا إليه الفلسفة الإغريقيّة ؛ وهو: ما الأدب؟ سؤال مؤشكلٌ حثّ به أرسطوطاليس Aristote lis/ المعلم الأوّل منذ القرن الرابع قبل الميلاد جمهرة النقاد إلى الاشتغال على أبعاده، ولقد طفقت عجلة النقد على الاستدارة بلا كلل أو ملل، حتى أدركت مطالع العصر الحديث؛إذ أعاد الوجودي " جان بول سارتر Jean-Paul Sartre" السؤال ذاته ،

[1] ينظر: رنيه وليك و آوستن وآرن: نظرية الأدب ، تعريب: عادل سلامة ،دار المرّيخ للنشر ، المملكة العربية السّعودية – الرّياض ، د.ط ، 1992م، ص: 35.

المنارة للاستشارات

وبذات الصّياغة أيضًا ؛ من خلال موجزه النقدي الذي حمل عنوان:" **ما الأدب؟** "

و بافتكار الموضوعة النقدية الحاملة لعتبة:" **شعرية الصّورة و التناص السردي في أدب الأطفال من خلال نص الويس كارول:" أليس في بلاد العجائب** "؛التي لا تعدّ إلا غيضًا من فيض لذاك الاستفهام الكبير. ومن وراء تلك العتبة الهامّة؛ يمكننا التّساؤل مع "أليس "؛ التي شاهدت أختها تقرأ كتابًا لا حضور للصورة فيه: " و ما الفائدة من كتابٍ لا صُور فيه ولا حوارات؟ "[2]

أوّلا: جغرافيا أدب الأطفال:

قدرتنا على تحصيل العلوم و المعارف من أنعُم الله سبحانه و تعالى علينا؛ والعِلم من تلك المعارف التي حازت صفة الإطلاقيّة و الشّمول. و لهذه الطّبيعة كان لزامًا علينا الاستفهام عن كيفيّات أكثر نجاعة، و أنماط أبلغ إحكاما؛ بغية توصيلها إلى القارئ/ المتلقّي.

[2] لويس كارول: أليس في بلاد العجائب ، تر: شكير نصر الدين ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء– المغرب ،ط1 ،2012م ، ص 05.

المنارة للاستشارات

فئة الأطفال ؛ و بما أنّها العتبة المحوريّة التي نتوجّه إليها ، و عنها بالخطاب. فعلينا – إذًا – تسطيرُ جغرافيّا أوّلية تُصوّبُ منظارها قبل كلّ شيء إلى الكتابة للأطفال ، قبل الكتابة عنهم و لأجل ذلك اقتضت " **جغرافيا الأطفال الأدبيّة** " هذه ، أن تتقوّم على مهادٍ أساس يحتمل هاته الأركان:*

أ- **مادة الكتاب:** فترومُ الغاية عندئذ من هذا الكتاب المقدّم لفئة الأطفال التأثير الفنّي، قبل الغاية المعرفيّة التي يحتويها. و تأسيسًا عليه ؛ فليس كلّ كاتب يمتلك سحر الكتابة في رحاب أدب الأطفال. و إذن؛ فهو مجال مخصوص ، تصاغ الكتابة فيه وفق أمور خاصّة كذلك. و منها:

- قصصيّة الأسلوب.
- سهولة اللغة.
- وجود صور ، و حوارات مباشرة.
- تغليب أسلوب الطّرافة في الكتابة على أسلوب الجدّية.
- الحفاظ على الرّسالة السّاميّة للكتاب ؛ التي تحمل الأطفال على روح التحدّي و العناد و المغامرة ، بدل الخنوع و الانصيّاع و الارتباك.

* ينظر: عبد الفتّاح أبو معال: أدب الأطفال – دراسة وتطبيق ، المركز العربي للتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1988م، ص ص: 105- 107.

المنارة للاستشارات

ب- القارئ الطفل / الطفل القارئ: ليس بالإمكان احتكار الكتاب عند القراءة من قبل طائفة معيّنة ؛ بيد أنّ ما يجب كونُه بإلزاميّة هنا: هو نسبة التأثير؛ التي لابدّ و أن يتركها الكتاب في الطفل، و الطفل قبل أيٍّ كان من جمهور القرّاء بعامّة.

ج- العلاقة البينيّة: وتنعقد أواصرها بين القارئ الطّفل و الكاتب للطّفل ؛ و لعلّ سرّ تقديم القارئ ههنا ؛ كان لاعتبارين:

▪ أن الكاتب يخضع – لا محالة – لسلطة فعل القراءة ؛ فلئن كان يكتب أوّلا ، فإنّ فعل القراءة الاستشرافي هو الذي يقوده.

▪ الطّفل القارئ ؛ و هو الآخر ينطلق في القراءة ابتداءً من المستوى السطحي للخطاب؛ فإذا توارى هذا القارئ خلف طبقات الكتابة؛ انقرأ ، و أضحى بإمكانه كتابة " أدب طفولي "، لكنّها – كما نعتقد – غاية بعيدة المنال ، و نادرة الحدوث.

- **شعريّة الصّورة و التّناص السّردي في خطاب الرّواية:**

ثانيًا: شعرية الصّورة في خطاب الرّواية:

ما دامت العلة الفاعليّة من وراء وجود هذه الدراسة ؛ هي مبعث الشّعرية التي تتناسلها المقاطع السرديّة بشكل طافح داخل جسد الرّواية. ومادام مفعولها يتطلع بإلماعاته إلى الأفق القرائي؛ الذي تبتغي به الدراسة

المنارة للاستشارات

تضييق بوتقة الحوار بين: الباثّ و المتلقي.فإنّنا سنحاول ملاحقة ماء هذه الشّعرية عبر تجاويف الخطاب.لكنّنا نرتسمه عبر وترين رئيسين:

أ- وترُ الامتاع:

لقد ساد الاعتقاد في أعراف المناظير النقدية المعاصرة أنّ السّرد أضحى لُعبة زمنيّة؛ وهو ما يؤول بنا إلى القول مع جماهير غفيرة من النقاد- عرب كانوا أم غربيين- بأنّ أجلى حالات الاستباق و أرهف حالات الاسترجاع ، ماهي – في الحقيقة – إلا تجسيدًا لهذه اللّعبة. وتأسيسًا على ذلك يفصح الفعل القرائي لأبرز المشاهد السّرديّة عن فسيفساء خيَلانيّة تترجمُ المتخيّل الرّوائي ، وتحيكُ أمشاجه، أو تحاكي به واقع العوامل السّرديّة الحالم.و لئن كان ذلك كذلك ؛ فإنّ قارئ هذه الرّواية سيُلفي – بلا موّاربة – عروضًا بانورامية باهرة، إلا أنّها مشاهد صدّقها صفاء الفطرة ، و رقّة الفكرة ، ونقاء السّريرة معًا،..لطفلة كان اسمها: "أليس". وكلّ ذلك من الجمال.ألَم ترَ إلى قول القائل:« الجمال اتّزانٌ في الفطرة الإنسانيّة ،و انسجامٌ مع نواميس الكون »[3]

[3] محمد حسن بريغش: أدب الأطفال أهدافه و سماته ، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت – لبنان ، ط2 ،1996م ،ص: 146.

المنارة للاستشارات

إنّ جانب "**التّخييل**" ؛ وهو مناطُ الشّعرية ههنا ، يعدُّ في سيّاق أدب الأطفال: الهدف الأسمى ، و المرمى الأرقى، لخيالات بريئة تفضي بها أنفس ملائكيّة ذوات أرواح طاهرة.

وهي من روح "أليس " غير بعيدة؛ ولأجل ذلك كان "**الجمالي**": « طريقٌ لتصعيد الصّوّر المختلفة إلى أرقى مستوياتها عند الطّفل.»[4]

و بِتِيْنكَ البانوراما المحكومة بخيال الأحلام الرّهيفة في حيّاكتها ، البسيطة في لغتها ، المحكَمة في أسلبتها ، وكذا المثيرة في أشواق عرضها المقدّم إلى قارئ بسيط هو الآخر؛ قارئ طفل / طفلٌ قارئ، ناهيك ، عن قارئ جاد/كُفء/ مُحترف.

ومن هاته العتبة التّمييزيّة يأتي الحديث عن:" **لُغة اللغة** "؛أي: لغة داخل لغة ؛ فنُميّزُ – حينذاك – ثلاثة أزياء يُقدَّمُ بها أيُّ مشهدٍ سردي:

01- كتابة الصّوّر: وهي المعتمدة على الشّرائح الفوتوغرافيّة المقحمة في حرَم الخطاب السّردي.

02-كتابة الكتابة: وهي المقتصرة على لغة الحروف؛ سواء كانت حروف مبنى، أو حروف معنى.

[4] محمد حسن بريغش: المرجع نفسه،ص: 150.

المنارة للاستشارات

03-الكتابة الجامعة: وهي التي تزاوجُ في سردها بين لغة الحرف و لغة الصّورة الفوتوغرافيّة معًا؛ وتلك هي حال روايتنا هذه.إذ تتكاتف في تجاويفها المقاطع السّرديّة المشفّرة بطاقتها الخياليّة الرّهيبة ، و الشّرائح الفوتوغرافية المعبّرة حينا، و المفسّرة حينا آخر ، لتلك المقاطع ذاتها.

و على غرار هذا التمييز الثلاثي؛ فإنّنا نرى أنّ هذه الرّواية – قيد الدّراسة – بانتمائها إلى هذا الزّي الثالث، و وفق منطق هذه الأسلبة السّردية المؤثّثة لخطابها، نراها رواية أوفى حظًّا من غيرها ، و أغزرَ انثيّالا شعريًّا؛ بحكم هذه اللغة المزاوجة بين جارحة اللسان ، و جارحة العين ، في الآن نفسها. وبذا سيكون لها– حتما واجبًا – أكبر التأثير ، و أعظم التثوير ، على ، و لـ..ذائقة القراء الأطفال على أقلّ تقدير.

ب– وتر الانتفاع: ما الغاية ممّا نكتب ؟ و هل يوجد أدب لغاية جمالية محضة؟

ذانك سؤالان وجيهان يصوّبان منظار العدسة النّقديّة نحو التّمييز الصّارم بين "**فنيّة اللغة**" و " **لغة العلم الدّقيقة** "؛ فنقول في كلمة وجيزة: إنّه لا يمكن – على سبيل الحقيقة – الفصل بينهما، و إن جاز ذلك صوريًّا؛بأن قيل: فنيّة اللغة تتلوّى حول نفسها، و تسائل ذاتها ، وهي لأجل ذلك ، تُفعّل ميكانيزماتها النّسقيّة ، و تُجدّد ترسانتها الفنيّة ؛ فتُراهن – حينذاك –

المنارة للاستشارات

العصر ، و تعاصر الرّاهن بأسلبة ناجعة ؛ تُجيبُ بها عن سؤال " **الجمالي** " في الأدب. على غرار ذلك؛ تتوجّه "صرامة اللغة العلميّة" إلى الاعتصام بريّاضة العلوم الحقّة و إحصاءاتها اليقينيّة ؛ وهي بذلك تؤسّس لميثوس عالِم Mythos لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ إذ لا يقبل الخلخلة ، ولا أيَّ مغامرة ارتجاجيّة تهزُّ كيانه البِدهي. و إذن؛ فعند التّحليل الأخير؛ تكون لغة العلم – بمنطقها الرّصين – باحثة عن يقين الإجابة **لـ:** " **البراجماتي الثقافي المسؤول** " في الأدب و بفعل ارتجاعي إلى تلك الثّنائيّة العتيقة الجامعة بين: الامتاع و الانتفاع في الأدب ؛ والتي أوجزها الفيلسوف الإغريقي" هوراس Horace "، في معرض حديثه عن " الشّعر "بقوله: « الشّعر جميلٌ و مفيد »[5] يكون من اليسير علينا تسجيل ثنائيّة على طرفي نقيض: **الفن لعبٌ ولهو ≠ الفن جدٌّ و عمل.** فكيف نتجاوز هذا التناقض الصّارخ؟

وسعيًا منّا إلى فكّ ذاك الطّسين الغريب؛ إذا جاز لنا الاحتكام إلى فعل المعاقلة العادل؛ فإنّه يمكنّنا من فكّ شفرة ذلك التّناقض بكلّ عواهنه. فلئن كان لنا أن نعيد الصّيّاغة السابقة بالقول: **الفنّ يلذّ و يُعلّم معًا؛** فإنّنا

[5] رنيه وليك و آوستن وآرن: المرجع السابق، ص: 44.

المنارة للاستشارات

نُسائل أنفسنا: الفنّ يلذّ مَن..؟ و يعلّمُ مَن..؟..، و ههنا نتبيّن الحلْقة الخفيّة ؛ وهي: **طبيعة القارئ..**؛ فلِمَن نكتب يا تُرى ؟؟

و بما أنّ طبيعة قارئنا – حسب عوالم هاته الرّواية – تحكمها براءة طفوليّة ، و ملائكيّة الأحلام ، و عذوبة الشّعور؛فهي براءة أطفال– في النهاية – هُم « لا يُحبّون الكتب الضّخمة ولا الخفيفة الصّغيرة المختصرة. و تشكّلُ الصُّور جانبًا هامًّا من جاذبيّة الكتاب. »[6]

وتلك في اعتقادنا روحٌ في أحوج ما تكون إلى الامتاع بقدر حاجتها إلى الانتفاع أيضًا . و هنا فقط تزيلُ اللذّة لثامها عن محض تَعلُّمٍ ، و خالص معرفةٍ. وتأسيسًا على هذا ؛ لا يبرّرُ أيُّ عمل فنّي وجوده بنجاحٍ وافٍ، إلا إذا اندمجت فيه الشّعريّة السّاحرة مع التّعلُّميّة المجرّدة. و طبقًا لهذا الاعتبار لا ينبغي أن يُحلِّل العرفُ النّقدي قضيّتا: الامتاع و الانتفاع في الأدب بعامّة ، و السّرد بخاصّة ، فيما يتعلّق بأعمار الطفولة ، خلافًا لهذا الإجراء.

❖ **لغة الصّورة وديمقراطيّة المعرفة:**

لقد سادت أرجاء المعمورة منذ انفجار التّصنيع في عصر الآلة الرّاهن، روح حواريّة تسوسُها لغة لا تقلّ رهابة عن شبح الاستغوال في عصرٍ لا

[6] عبد الفتّاح أبو معال: المرجع السابق ، ص: 104.

المنارة للاستشارات

يعرف الوقوف عند حدّ الأسطورة القديمة وحسب ، بل لقد هيمنت عليه آلهة من نوع جديد ؛ إنّه "عصر المعلوماتيّة و ثقافة الصّورة "بامتيّاز. إذا كان « الأصل في الكلام هو الحوار ، و الأصل في الحوار هو الاختلاف.»[7]؛ فإنّنا نترجم ههنا ذاك الحوار بلغةٍ كونيّة تتقوّم في أساساتها على" **الصّورة الفوتوغرافيّة** "؛ تلك الصّورة التي تحاور دون كلام ، و ترأب الشقوق و التجاويف ؛ سريًا إلى ترسيخ ثقافة الحوار المختلف، لا خلافات الحوار العقيمة.

هناك – حسب الاعتقاد الشامل – صلة قرابة منعقدة بين كلّ الحقول العلمية و المعارف المختلفة ؛ لأنّ الكون بات مدينة افتراضيّة جدّ صغيرة على صفحة جهاز الحاسوب kompiotre .

إلا أنّ جمهور الأدباء إلى عهد غير بعيد لم يكونوا يتكئون ببصائر نافذة على فضاءات حواسيبهم ؛ فتغدو عندهم كأنّها تتهاوى بصواعق رهيبة ؛ لا يمكن وسمُها إلا بـ:" التّكنوفوبيا " أو " رِهاب التكنولوجيا "[*]

[7] طه عبد الرّحمان: الحق العربي في الاختلاف الفلسفي ،المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء ، المغرب ، ط2 ، 2006م ، ص: 27.

[*] ينظر: أحمد فضل شبلول: أدباء الانترنت– أدباء المستقبل ، دار الوفاء لدُنيا الطباعة و النّشر ، الاسكندرية ، ط2 ، د.ت ، ص: 25.

المنارة للاستشارات

على خلاف هذه النّظرة السّقيمة التي استعرضناها ههنا ، والتي آلت إليها ثقافة الصّورة المتوسّلة بآليات الإعلام الآلي المعاصرة. على النقيض من ذلك يجهد الأسباط من جيل الأدباء الشّباب على الانكفاء الكلّي و الرّهيب على هاته الحواسيب الإعلاميّة.

نقول ذلك، في وقتٍ ، حظيّت فيه هذه الأجهزة المتطوّرة بكبير عناية واهتمام ؛ حتّى لقد تدحرج الإنسان/ الأديب المعاصر ؛ وهو المعني الأوّل بالبحث العلمي، إلى مراتب ثانويّة دون مستوى هذه الآلة العاقلة/ العالِمة. و لشيوع هذا المنطق دلائل عديدة ؛ وجامعها أنّ وسيط " **الأنترنت Internet**" أضحى « كائنًا بحدّ ذاته. »[8] و لعلّنا نصيب ، ولا نجانب الصّواب بالقول أن من أنسب الطّرق التي تيسّر لحوارية المعرفة و ديمقراطيتها في غضون ركام هذه المعارف المتاخم لهذا الحراك التّكنوفوبي الهائل. أن يُجامع الباحث بكفاءة أكاديميّة ذات تخطيط مسبق الإحكام بين لغة الصّورة الفوتوغرافيّة و أسلبةٍ لغوية خاصّة، في منتج إبداعيّ واحد؛ و القصد من ذلك ما جاء بتعبير مارتن هايدغر: « أن يُترك للعمل الفنّي

[8] أحمد فضل شبلول: المرجع السابق، ص: 24.

المنارة للاستشارات

قيّامهُ في ذاته على نحوٍ محض »[9] و تلك هي حال هاته الرّواية لـمؤلفها: " **الويس كارول** ".

ثالثًا: حوار الدّاخل / الخارج النّصّي في خطاب الرّواية:

يمكننا رصد محطّات هذا الحوار المكين فيما بين "**الدّاخل**" و "**الخارج** " النّصّيان ، من خلال علاقات التّناصّ الحاملة / القائمة على أمشاج رحِميّة فيما بينها؛ وهي – كما قضاها العُرف الجوناتي – : التّناصيّة Intertextualité ، الملحق النّصي Paratexte ، التّعالي النّصّي Métatextualité ، الاتّساعية النّصيّة Hyper textualité ، الجامعيّة النّصيّة Architextualité.[10]

أ-التّناصّية Intertextualité:

ب- إنّنا نرتهن ههنا إلى تقنيّة " **الاستقراء** " ، من جديد ، للوقوف على بعض المواضع التي سجّلت فيها هذه العلاقة حضورها بقوة؛ وهي تبرز كما يلي:

[9] مارتن هايدغر : أصل العمل الفنّي ، تر: أبو العيد دودو ، منشورات الجمل ، ألمانيا ، ط1 ، 2003م ، ص: 94.

[10] يُنظر محمد خير البقاعي: دراسات في النّص و التناصيّة ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب- سوريا ، ط1 ، 1998م ، ص ص : 125- 130.

المنارة للاستشارات

❖ قدّم الرّاوي تبريرًا لعدم تسرّع " أليس " ، أو تردُّدها في تجرّع ما بتلك القارورة التي صادفتها أمامها: « ..؛ لأنّها قرأت العديد من القصص الممتعة تحكي عن أطفال تعرّضوا للحرق أو التهمتهم وحوشٌ ضاريّة ، أو كانوا ضحايا مغامرات أخرى مزعجة ،.. على سبيل المثال، السّيخ الملتهب والذي يُحرّك به الجمر يحرقك إذا أمسكتهُ بيدك طويلا ،..»[11]

❖ و قالت "أليس " مخاطبة ذاتها الثانيّة – بعد أن صارت شخصين على سبيل التخيّل– : « لنَر قليلا: أربعة في خمسة تساوي إثنى عشر ، أربعة في ستّة تساوي ثلاثة عشر ، ..لكن جدول الضّرب لا يثبتُ شيئًا. لنُراجع الجغرافيا. لندن هي عاصمة باريس ، و باريس هي عاصمة روما ،...»[12]

و يظهر في هذا التّدليل ذاك التّعالُق النّصانياتي فيما بين الرّصيد المعرفي و محدوديته عند "أليس" بالنّظر إلى الرّوافد التي تتحّدث عنها؛ وهي:" رافد الرّياضيّات " و " رافد الجغرافيا". ومُفاده: إقرار الشّرخ الكبير الذي أصاب ذات الشّخصية السّاردة؛ فشطرها نصفين: أنا و آخر.

❖ حكاية "**أليس**" مع "**الأرنب**" و صديقه"**بيل** " في بيته الذي يشبه القبو لضيقه؛ تتناصّ وفق هذه العلاقة ذاتها مع حكاية " **الصّيّاد و**

[11] لويس كارول: أليس في بلاد العجائب، ص ص: 10- 12.

[12] لويس كارول: أليس في بلاد العجائب، ص: 19.

المنارة للاستشارات

العفريت"حسب ما ذكره كتاب " **ألف ليلة و ليلة** "[13]– من الليلة الثالثة إلى الليلة السابعة – وهنا تبدو لنا ذات سرديّة تحاور على مستوى راقٍ نصًّا تراثيا عريق يجمع بين عالَم الإنس ، وعالَم الجنّ؛ بما يثيرُ روح المغامرة و يسرّح طاقة الخيال في الخطاب.

- ❖ كما يمكنُنا لحظُ هاته العلاقة من تعالقات النّصوص كذلك؛ من خلال إيلاء العناية لوشائج اللّحمة المنعقدة بين شرائح الصّور التي تناثرت عبر شريط أحداث هذه الرّواية ، و بعض قصص" ابن المقفّع " التي تتضام بين حدّي كتابه:" **كليلة و دمنة** " بخاصّة. و هاك أمثلة لذلك:
  - قصّة: " مثلُ الأرنب و الأسد ؛
  - و قصّة : مثلُ الفيلة و رسولُ الأرانب ؛
  - و قصّة : مثلُ النّاسك و الفأرة المحوّلة جاريّة.. » [14]

ت– الملحق النّصّي Paratexte :

[13] ينظر: ألف ليلة و ليلة،حكايات ، تقديم: مزيان فرحاني ، موفم للنشر و التوزيع – الجزائر ، ج1 ، د.ط ،2005،ص ص: 15– 27.

[14] ينظر: بيدبا الفيلسوف: " كليلة ودمنة، تعريب: عبد الله بن المقفع ، دار تلانتيقيت للنشر– بجاية ، الجزائر ،د.ط، 2015م ، ص ص: 101 ، 190 ، 203.

المنارة للاستشارات

و قد نوجز مع أحد الباحثين في تعريف وجيز لهذه العلاقة التّناصيّة؛ فنقول بأنّها: « منجمٌ من الأسئلة بلا أجوبة »[15] من هاته العتبة نستطيع ضبط بعض مواطن تلك الأسئلة المتهاطلة على أوّل متلقّ للنّص ؛ وهو – كما نعلم – كاتبُه طبعًا:

❖ **غلاف الكتاب / الرّواية:**

طقسٌ غريب تتخلّلُه أشجارٌ عجيبة ، نباتُ فطريّاتٍ تعلو قاماته قدّ البشر ، كائنات حيوانيّة غريبة..دودة، أرنب أبيض ذو عينين حمراوين ، ..ورود تزيّن ربوة الأرض الخضراء..؛ صِدقًا: إنّها تثيرُ الإعجاب؛ فكانت على قدر مُسمّاها: " **بلاد العجائب** "

❖ **عنوان الرّواية:**

" أليس في بلاد العجائب "؛ وقد صيغَ بالصّبغ الأحمر؛ وهي دلالة استباقيّة ، تُنبئُ بكلّ ما لا يمكن تبريرُه من لدُن " أليس " ؛ و هو لذلك محلّ العجب عبر سائر رحلتها المغامراتيّة، و الحالمة معًا.

ثمّ لقد أحسن مؤلّف الرّواية؛ إذ اصطفى دالا حاملا لِلُبِّ التّعجب و المغامرة ؛ إذ إنّ " أليس" اسمٌ لا يقبل التّجنيس.فلقد كان على قدر الوظيفة المنوطة به في الخطاب السّردي ، فلا هو مُذكر ، ولا هو مؤنّث.

[15] محمد خير البقاعي: المرجع السابق، ص: 128.

المنارة للاستشارات

❖ **العناوين الفرعيّة و الشّرائح الفوتوغرافيّة*:**

و لقد تكفّلنا بتعدادها على هذا النّحو:

الفصل	العنـــــــــوان الفرعـــــــــــي	الصـفحــة
01	السقوط في جحر الأرنب	**05**
02	بركة الدّموع	**15**
03	سباق جماعي محموم و قصة طويلة	**27**
04	الأرنب يستخدم بيل الصّغير	**37**
05	نصائح دودة القز	**49**
06	خنزير و فلفل	**61**
07	شاي عند المجانين	**73**
08	ملعب الكروكيت الخاص بالملكة	**85**
09	حكاية السّلحفاة المتوهّمة	**97**
10	رقصة السّلطعون الرّباعيّة	**109**
11	من سرق الفطائر ؟	**121**

* لقد رأينا أن أنسب طريقة للموازنة بين شقيّ هذا العنوان هو عرضه في جدولين ؛ بما اقتضاه خطاب الرّواية ، و هو ما سيساعد القارئ الكريم على رصد نقاط الالتقاء بين التعبير باللغة من طريق الحرف ، و التعبير بها من طريق الصّورة.

المنارة للاستشارات

12	شهادة أليس	**131**

الجدول– أ –

التّعليق01:

قد يقول سائل: و ما فائدة إعادة هذه الفهرسة الخاصّة بمحتوى الرّواية هنا؟ فيكون الرّد حينذاك: أنّ لغة الشّرح و التّفسير تقتضي حضور بعض التّفاصيل الخطابيّة ؛ ولاسيّما إن كانت بمثابة رؤوس لا يفكّك الخطاب إلا بقرعها ببعضها، أو بما يوازيها؛ ابتغاء الانتهاء بالتّحليل إلى مقتضاه.

و لقد نزيد على هذا استيضاحا أوفى للمطلوب ، لكن هذه المرّة من طريق:" **الصّورة الفوتوغرافيّة** " ؛ من خلال الجدول التالي:

الفصل	**عدد الصّور**	**محتواها العام**	**الصّفحة**
01	صورتين	**أرنب أمام جحره + أليس تحمل قارورة صغيرة.**	11+05
02	صورة واحدة	**أليس واقفة بحجمٍ زائد على المعتاد**	18
03	صورة واحدة	**كوكبة من الحيوانات تتوسطهم أليس جالسة مع فأر.**	27

المنارة للاستشارات

04	صورة واحدة	**أليس متّكئة بانكماشٍ في بيت صغير**	37
05	صورة واحدة	**دودة القز تتعالى على أليس فوق نبات فطرٍ كبير**	49
06	صورة واحدة	**أليس في مطبخ مع مخلوقات غريبة**	61
07	صورة واحدة	**أليس تتأهّب لحوار المجانين**	73
08	صورتين	**أليس تحمل نحّامها الصّغير+ أليس بحضرة موكب الملكة.**	90+85
09	صورتين	**أليس وقط الشّيشاير +أليس وحكاية السلحفاة**	100+97
10	صورة واحدة	**رقصة السلطعون**	109
11	صورة واحدة	**الأرنب يحمل مزمارًا ويهتف: من سرق الفطائر؟**	121
12	صورتين	**أليس و كلمة الفصل+ أليس بين أوراق متناثرة**	138+131

الجدول– ب –

المنارة للاستشارات

التّعليق02: ما يجب أن يُطلب من قراءة فاحصة لهذين المجدولين هو: أنّ علاقة **الملحق النّصي** قد أبانت فعلا عن عميق القرابةٍ ، و آكد التلاحُمات بين خطاب الصّورة و لغة السّرد المبنيّة بالحروف اللسانيّة. وهنا لا يسعنا إلا أن نؤطّر لقراءة هذا المتن الرّوائي – استشرافيًّا– وفق هذه المحاور:

- تحليل خطاب الصّورة: وهو يمنحنا ما يتركه النّص في القارئ؛ من خلال فعل " **السّميأة**"[16] القرائي.
- تحليل خطاب المقاطع السّردية: و لعلّ العناية بتعالقاتها ببعضها من أنجع المفاتيح لسبر أغوار الخطاب.
- الجمع بين تّحليل الصّورة و تحليل سائر المتن الحكائي.

ج– التّعالي النّصّي Métatextualité:

[16] ينظر : جاك فونتاني: سيمياء المرئي، تر: علي أسعد ، دار الحوار ، اللاذقية – سوريا ، ط2 ، 2010م، ص: 34.

المنارة للاستشارات

ليس ممّا يُنافي المنطق السّوي؛ أن نزمع أن مُحاولة تفهُّم خطاب هذه الرّواية لا تتمُّ – في ضوء هذه العلاقة التّناصيّة – إلا باعتمادها كتأسيس نقديٍّ لأيّ حكي/ سرد ، موّجه إلى فئة الأطفال من القرّاء ، و هو خالٍ من لغة الصّورة. وهذا من باب القول أن الكلام بالصّور من أبلغ التّعابير. وعليه فأيّما خطاب يعمل على تغييب الصّور ، سيكون– بعين الطفل/ القارئ – مدعاة للاستنفار، بدل الإعجاب.

ولقد كفانا صاحب هذه الرّواية هذا الشّر المريب ؛ فكانت روايته زيّادة على الامتاعيّة ، نِعْمَ المجيب على تساؤلنا الذي يكبرُ معنا: بأيّ وسيلةٍ سرديّة نستهوى القارئ أكثر..؟ !

ح– الاتّساعية النّصيّة Hyper textualité :

خ– و تتعيّن حدود هذه العلاقة بين شيئين اثنين؛ يفضي بهما خطاب الرّواية ككُلّ:

المنارة للاستشارات

- **حلمُ الطّفلة " أليس ":** ويمكن وسمُه بـ:" **حلم بلاد العجائب**" ؛ و لقد دار هذا الحلم بمخيّلة "أليس" المستلقيّة بالمنحدر على رُكبتيْ أختها، كما صرّح الرّوائي بذلك في آخر فصل من الرّواية.[17]
- **سائر المتن الرّوائي:** و يُضبطُ بالمجال:[ص:05 ـــــ140.]

و تتضح بين هاتين المحطّتين الوظيفة الخلاّقة التي يضطلع بها الكاتب و الرّوائي " لويس كارول" ؛ فلا مندوحة آنذاك للفنّان في رحاب الفنّ العظيم ؛ لأنّه و القول لهايدغر: " يكادُ يكون معْبَرًا محطّما لذاته أثناء عمليّة الإبداع من أجل إنتاج العمل الفنّي."[18] ؛ لذا ألفينا الكاتب قد تحرّى لنفسه طريقة سحريّة لتنميّة هذا الوليد الصغير" **حلم أليس** " ، و جعله يتخلّقُ شيئًا فشيئًا عبر سيولانيّة عنكبوتيّة ؛ بإطالة أحباله و تمطيطها إلى

[17] ينظر: الويس كارول: أليس في بلاد العجائب، ص: 140.

[18] مارتن هايدغر : المرجع السابق، ص: 95.

المنارة للاستشارات

آماد لا حدّ لها. وإن بدا لنا أنّ ذلك مستساغ و نقدر عليه ؛ فليس كلّ الرّوائيين بمُقتدرين.

د- **الجامعيّة النّصيّة Architextualité:** على صفحة الغلاف الأولى من الرّواية لا توجد أيّة إشارة أو إشعار **يُجنّسُ هذا العمل** ؛ ممّا يُضفي به أن يكون نموذجًا القراءات الانفتاحيّة ؛ أي كمثلٍ أعلى لتعدُّدٍ أجناسي؛ كأن نقرأه ككتاب أكاديمي ذات أبعاد نفسيّة ؛ يشرح بها الكاتب جوانب من حياة الطفولة، و يقدّم صورًا من خيالاتها و أحلامها البريئة.

و إذ نقول ذلك؛ يعود المترجم على صفحة الغلاف الأخيرة، و يكسر هذه المعادلة؛ لذا نقرأ ما كتب، و هذا نصّه: « تعتبرُ رواية " أليس في بلاد العجائب " مَعْلَمة من معالِم الأدب العالمي البارزة ، تستهوي الأطفال، كما الكبار ، جيلا بعد جيل.»[19]

و بناءً على هذه العلاقة التّناصّية الأخيرة؛ يظهر أن سبر تجاويف هذا العمل الخلاق، وتفهُّمه رهينٌ بـ: " أفق التّوقّع "؛ الذي يُصوّب

[19] ينظر الرواية: صفحة الغلاف الأخيرة .

المنارة للاستشارات

عين العدسة القارئة إزاء مباشرتها الحواريّة للنّص السّردي، وفق منطق التّشارُك و المضايفة ، ووفقه يغدو فعلُ القراءة نسيجُ توليدٍ للدلالات لا ينضبُ أبدا.

- **استخلاص عام:**

ها نحن معنيون هنا بستجيل بعض ما سطّرتهُ الدّراسة قِبَلا؛ و هو المبيّن في قولنا أدناه:

- ❖ مثل هذه الأعمال الخالدة تؤسس – بلا مراء – لأُفق واعد ، نافح بسلانيّة حالمة في لغة السّرد.
- ❖ مثل هذه الأعمال تفعّل طاقة الخيال عند الطفل؛ فيتخيّل صوّرًا رآها ، ويتكلّم صُوّرًا ، و يفهم بالصّور، حتى قبل أن يتعلّم صور الكتابة.
- ❖ مثل هذه الأعمال بطبيعتها الانجذابيّة تجعل القارئ يتفرّسها؛ فنضع القراءة بين قوسين لصالح " **الانقرائيّة**"[20].

[20] وقد سمّاها بهاته الصّفة الباحث:"حسن شحاتة "يُنظر كتابه: أدب الطّفل العربي دراسات وبحوث ،الدار المصريّة اللبنانيّة ، القاهرة ، ط2 ، 1994، ص: 94.

المنارة للاستشارات

❖ مثلُ هذه الأعمال لا تموت؛ لأنّها أكبر من الموت ؛ وسحرُ القراءة وحده هو الذي يطيل أمدها بكُمُون الحياة الأبدي.

▪▪▪ مراجع الدّراسة ▪▪▪

أ- المصادر:

1. لويس كارول: أليس في بلاد العجائب ، تر: شكير نصر الدين ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء- المغرب ،ط1 ،2012م.

ب- المراجع :

2- أحمد فضل شبلول: أدباء الانترنت- أدباء المستقبل ، دار الوفاء لدُنيا الطباعة و النّشر ، الاسكندرية ، ط2 ، د.ت

3- (دون مؤلف): ألف ليلة و ليلة،حكايات ، تقديم: مزيان فرحاني ، موفم للنشر و التوزيع – الجزائر ، ج1 ، د.ط ،2005م.

4- بيدبا الفيلسوف: " كليلة ودمنة، تعريب: عبد الله بن المقفع ، دار تلانتيقيت للنشر- بجاية ، الجزائر ،د.ط، 2015م.

المنارة للاستشارات

5- جاك فونتاني: سيمياء المرئي، تر: علي أسعد ، دار الحوار ، اللاذقية – سوريا ، ط2 ، 2010م.

6- رنيه وليك و آوستن وآرن: نظرية الأدب ، تعريب: عادل سلامة ،دار المرّيخ للنشر ، المملكة العربية السّعودية – الرّياض ، د.ط ، 1992م.

7- عبد الحق بلعابد: عتبات- جيرار جينيت من النّص إلى المناص، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة ، ط1 ، 2008م.

8- عبد الفتّاح أبو معال: أدب الأطفال – دراسة وتطبيق ، المركز العربي للتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1988م.

9- طه عبد الرّحمان: الحق العربي في الاختلاف الفلسفي ،المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء ، المغرب ، ط2 ، 2006م

10- مارتن هايدغر : أصل العمل الفنّي ، تر: أبو العيد دودو ، منشورات الجمل ، ألمانيا ، ط1 ، 2003م.

11- محمد حسن بريغش: أدب الأطفال أهدافه و سماته ، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت – لبنان ، ط2 ،1996م.

المنارة للاستشارات